

ربانياً يحوي داخله عناصر طبيعية، كما يحوي ما لا يمكن رده إلى المادة، فعلاقته بالطبيعة هي أيضاً علاقة اتصال وانفصال. وعادةً ما يصاحب هذا الهجوم الحرفي على لغة المجاز البحث عن لغة علمية جبرية، دقيقة واضحة محايدة تصلح للتعبير عن كل من الظواهر الإنسانية والطبيعية.

ويلاحظ أن النزعة الحرفية التي تزعم أن معنى النص المقدس واضح وبسيط، عادةً ما تخبيء نزعة أيديولوجية ما. فالتفسيرات الحرفية يمكنها أن تكتسب أي مضمون فكري يحمله المفسر الحرفي، إذ يمكنه ببساطة أن يلوي عنق النص المقدس، لا عن طريق التفسير الباطني، وإنما عن طريق الاجتزاء، فيأخذ أي نص من كتابه المقدس ويعزله عن النموذج العام الكامن والرؤية العامة، ثم يفرض عليه ما يشاء من معنى (وهو معنى لا يتجاوز ما في عالم المادة من أشياء وأحداث مباشرة)، ثم يقوم بتوظيفه بالطريقة التي تعن له، والتي عادةً ما تتفق ومصطلحته، إذ إن المفسر الحرفي قد تحرر تماماً من القيود التي يفرضها النص المقدس عليه.

والتفسيرات الحرفية تفسيرات شعوية، لأنها سهلة للغاية. إذ يفتح المفسر النص المقدس ويأخذ منه سطرًا أو سطرين ويفسرهما بطريقة مباشرة. فالشخص العادي (خاصةً في العصر الحديث بعد عزله عن تراثه وتاريخه) يريد أن يشعر ويدرك بحواسه الخمس، وهو يفضل الدقة والتحدد على التركيب والإبهام، ويفضل المباشرة على المجاز والتجاوز (أي أنه يفضل المعادلات الجبرية على الشعر)، ولذا فإنه يريد حين يفتح الكتاب المقدس أن يعرف المقابل المادي لما جاء فيه. ولذا نجد أن الحركات الثورية الشعبوية ذات الطابع المشيخاني الحلولي الكموني (أي التي تدور في إطار حلولي، وتتوقع نهاية التاريخ مع وصول المخلص الذي سيملا الأرض عدلاً بعد أن امتلأت جوراً)، هذه الحركات عادةً ما تكون تربة خصبة لظهور التفسيرات الحرفية للنصوص المقدسة، والتنبؤات التي ترى أنه سيحدث تجسّد كامل وفجائي للإله في التاريخ الإنساني (فيعود المركز إلى داخل النموذج) وتنتهي كل الآلام، ويتوقف التاريخ البشري باعتباره مجال الحرية والجبر، والانتصار والانكسار، ويصل إلى نهايته السعيدة.